شبهات حول الجهاد الإسلامي

الشبهة الثالثة عشرة:

ادّعاء أن طلب العلم مُقدّم على الجهاد في شريعة الإسلام

موسوعة بيان الإسلام

http://alabasirah.com

الشبهة الثالثة عشرة

ادِّعاء أن طلب العلم مُقدَّم على الجهاد في شريعة الإسلام(*)

مضمون الشبهة:

يدعي بعض المتقولين أن طلب العلم في الإسلام مقدم على الجهاد، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة). ويتساءلون: إذا كان كذلك فلماذا يقدم المسلمون الجهاد على طلب العلم؟!!

وجوه إبطال الشبهة:

١) الفهم الصحيح لتفسير الآية الكريمة يفند دعواهم الكاذبة؛ لأن معنى الآية: ما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر، فيتركوه وحده، وتبقى معه بقية ليحملوا عنه الدين ويتفقهوا فيه.

٢) فضل الجهاد عظيم في الإسلام، لا يعدله شيء.

٣) فضل طلب العلم كبير، ولكنه لا يفضل الجهاد في سبيل الله.

التفصيل:

أولا. الفهم الصحيح للآية الكريمة يُفَنِّد هذه الدعوى ويُصَوِّب الخطأ:

إن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(*) ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد، عبد الملك البراك، مرجع سابق.

﴿لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة) مُفاده أن الجهاد ليس على الأعيان، وأنما هو فرض كفاية؛ إذ لو نفر الكل، لضاع من وراءهم من العيال، فليخرج فريق منهم للجهاد، وليقم فريق بالتفقُّه في الدين وحِفْظِ الحريم، حتى إذا عاد النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع، وما تجدد نزوله على النبي ﷺ[1].

وهذه الآية تدل على وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر، فيتركوه وحده، بل ينبغي أن تبقى معه بقية ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا فيه، وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة.

وذكر الألوسي في تفسيره عن ابن عباس ﷺ أنه تعالى لما شدد على المتخلفين قالوا: لا يتخلف منَّا أحد عن جيش أو سرية أبدًا، ففعلوا ذلك وبقي رسول الله ﷺ وحده، فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة).

قال الألوسي في "روح المعاني": و "لولا" هنا تحضيضية، وذهب كثير من الناس إلى أن المراد من النفر الخروج لطلب العلم، فالآية ليست متعلقة بما قبلها من أمر الجهاد، بل لما بين ﷻ وجوب الهجرة والجهاد وكل منهما سفر لعبادة، فبعد ما فضل الجهاد ذكر السفر الآخر، وهو الهجرة لطلب العلم، فالضمير في "يتفقهوا" و "ينذروا" للطائفة المذكورة، وهي النافرة.

فلو طلب العلم، وترك الجهاد حتى يتعلم الناس؛ لداهم العدو البلاد والعباد، وما ترك فرصة لطلب العلم ولا لغيره، فكان الجهاد أولى وأعظم من طلب العلم؛ لأن به يحمى العلم وأهله.

ثانيًا. فضل الجهاد في سبيل الله لا يعدله شيء؛ إذ هو أفضل من تطوع الحج والعمرة، ومن تطوع الصلاة والصوم:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: "لا تستطيعونه" فأعاد عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول "لا تستطيعونه". وقال في الثالثة: "مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله"[2].

- وقال رسول الله ﷺ: "لا يُكْلَم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك"[3].

- وجاء عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل

---

١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٨، ص٢٩٤، ٢٩٣ بتصرف.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢٦٣٣) بلفظ: دُلَّني على عمل يعدل الجهاد، قال: " لا أجده"، مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٤٩٧٧).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله ﷻ (٢٦٤٩).

الجهاد، قال: "لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تَفْتُرُ، وتصوم ولا تُفطر"؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد لَيَسْتَنُّ في طوله، فيكتب له حسناتٍ[1].

- وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله"[2].
- وسئل النبي ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"[3] [4].
- وقال النبي ﷺ: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"[5].

فكل هذه الأحاديث تدل على أن عبادة الجهاد من أفضل العبادات في الإسلام®.

ثالثًا. فضل العلم في القرآن والسنة عظيم، ولكنه لا يفضل الجهاد في سبيل الله:

في قول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ (آل عمران:١٨) قرن الله ﷻ شهادته بشهادة الملائكة وأولي العلم!! وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا ونبلًا، وفي قوله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١). قال حبر الأمة ابن عباس - رضي الله عنهما -: "يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا بدرجات"[6].

وقال ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله ﷻ وملائكته، وأهل السماوات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"[7]. وقوله ﷺ: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ

---

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢٦٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٤٩٧٧) بلفظ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ، قال: "لا تطيعونه".

٢. صحيح: أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، (١٦١٩)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب أي الناس خير (١٦٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٥٢).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٢٦٣٤)، وفي موضع آخر بنحوه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (٤٩٩٥).

٤. فقه السنة، السيد سابق، مرجع سابق، ج٣، ص٣٧٠: ٣٧٣.

٥. صحيح: أخرجه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق، باب المفروض من الأعمال والنوافل (٢٠٣٠٣)، والترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة (٢٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٦١٦).

® في "فضل الجهاد في سبيل الله" طالع أيضًا: الوجه الثاني، من الشبهة السابعة. والوجه الأول، من الشبهة التاسعة؛ من هذا الجزء.

٦. صحيح: أخرجه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في فضل العلم والعالم (٣٥٣)، وصححه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المجادلة (٣٧٩٣)، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٧. صحيح: أخرجه الدارمي في سننه، المقدمة، باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله (٢٨٩) بنحوه، والترمذي في سننه، كتاب العلم، فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٦٨٥).

وافر"[1]. وقوله: "من علَّم علمًا فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل"[2].

وبهذا البيان يتضح أن لكل من طلب العلم ولكل من جاهد في سبيل الله فضلًا عظيمًا، على أن الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله لا يَعْدِله شيء؛ لأنه ذِرْوة سَنام الإسلام، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ.

الخلاصة:

- الفهم الصحيح للآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة): أن الجهاد فرض كفاية؛ لأنه لو نفر الكل، لضاع من ورائهم من العيال والنساء، ولكن فليخرج فريق منهم للجهاد، وليقم فريق ليتفقهوا في الدين، وحتى لا يبقى رسول الله ﷺ وحده، ولتبقى معه طائفة؛ لتتعلم وتتفقه على يديه الكتاب والسنة، وإذا عادت الطائفة المجاهدة يعلمونهم ما نزل على النبي ﷺ من الوحي، وحتى إذا خرجوا للجهاد، كانوا على علم وفقه يعلمون أهل البلاد التي فتحت الإسلام وأحكام الشرع من الكتاب والسنة.

- الجهاد لا يعدله شيء؛ لأنه تضحية بالنفس والمال في سبيل الله؛ ولأن الرسول ﷺ عندما سئل عما يعدل الجهاد قال: " لا تستطيعونه" وقال: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله"[3].

- للعلم فضل عظيم في الإسلام، فقد قال ﷺ: "فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع"[4].

---

١. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، باقي حديث أبي الدرداء ﷺ (٢١٧٦٣)، وابن ماجه في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٢٣).

٢. حسن: أخرجه ابن ماجه في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب ثواب معلم الناس الخير (٢٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير، باب الميم، معاذ بن أنس الجهني (٤٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٤٠).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢٦٣٣)، بلفظ: دلَّني على عمل يعدل الجهاد، قال: " لا أجده"، ومسلم في صحيحه، كتاب الأمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٤٩٧٧).

٤. صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، باب ما قالوا في البكاء من خشية الله (٣٥٦٠٠)، والطبراني في الأوسط، باب العين، من اسمه علي (٣٩٦٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٧٦٦٣).